

تمثلات الصداقة ومراحل تكوينها بين الجيران في المحيط الاجتماعي

–السكنات العمودية بولاية وهران أنموذجا -

**Representations of friendship and the stages of its formation between
neighbors in the social environment**

-Vertical housing in the state of Oran as a model -

أ.د. سوامية نورية^{*1}

¹جامعة معسكر (الجزائر)، n.soualmia@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2024/12/20

تاريخ القبول: 2024/12/12

تاريخ الاستلام: 2024/07/15

ملخص: يهدف هذا البحث لمعرفة مفهوم الصداقة كرابطة اجتماعية في المجتمع الحضري، وأيضا إلى سيرورة تكون علاقات الصداقة بين الجيران والعوامل التي تتحكم في ذلك، بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، واستخدام تقنية المقابلة مع ثلاثين أسرة مبحوثة كعينة للدراسة. توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن الصداقة كعلاقة ترتبط بمفهوم الثقة بدرجة كبيرة، فهي ليست عفوية بل منظمة وعقلانية ترتبط بعلاقات المصلحة والمنفعة، تتكون أيضا نتيجة التقارب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للأفراد وارتباطهم بنفس القيم والاتجاهات والميول وغيرها، ويكون التبادل الاجتماعي بمختلف أشكاله بارزا بوضوح بين الجيران الأصدقاء. كلمات مفتاحية: الرابط الاجتماعي، التفاعل الاجتماعي، الجيرة، الصداقة، التبادل الاجتماعي.

Abstract: This research aims to understand the meaning of friendship as a social bond in urban society, as well as the stages of friendship between neighbours and the factors they control, relying on the descriptive analytical approach, and using the technique of interviewing thirty families as a sample study.

The study found a series of results, the most important being that friendship as a relationship is largely linked to the concept of trust. It is not automatic but it is structured and rational associated with interest and benefit relationships. It also results from individuals' social, economic, and cultural convergence and association with the same values, trends, trends and others.

The various forms of social exchange are clearly visible among friends' neighbours.

Keywords: Social bonds; social interaction; neighbourhood; friendship; social exchange.

● مقدمة:

إنّ حاجة الإنسان الطبيعية تحتم عليه العيش داخل النسق الاجتماعي فلا يمكنه العيش بمعزل عن الآخرين، وعليه تنبني علاقات الأخذ والعطاء بين الفرد ومحيطه، وتشكل التفاعلات المختلفة، وتبنى الممارسات الاجتماعية، ويظهر التفاعل الاجتماعي بين الجيران أمر ضروري، لأن هؤلاء يتقاسمون نفس المجال السكني، فيلتقون ويتحاورون وغير ذلك، ما يطرح تبادل في مستويات عدة. هذا التفاعل من شأنه خلق علاقات صداقة، التي تعد نوع من الروابط الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد والجماعات، تتميز بالتفاعل الدائم والتبادل المستمر بين مكوّنيها. وعليه نتناول مفهوم الصداقة كرابطة اجتماعية وسيرورة تكوينها بين الجيران.

فالواقعة الاجتماعية ليست معطى، بل هي سيرورة تتشكل ضمن إطار الحالات العينية الملموسة، فمن خلال دينامية التفاعل بين الأفراد وفي إطار التبادلات والمعنى الذي يعطيه الأفراد لأفعالهم يمكن فهم جوهر الحياة الاجتماعية. ونركز على "الطبيعة الرمزية للحياة الاجتماعية، أي أنّ الدلالات الاجتماعية لأفعال الأفراد ينبغي اعتبارها نابعة من الأفعال المتبادلة التأثير بين الأفراد" (المالكي، 2005، ص82)، بمعنى أنّ الرموز والدلالات والقيم المشتركة هي التي توجه أفعال الأفراد، وفي الوقت نفسه تمكن من التنبؤ بأفعال الآخرين وفهم سلوكهم، والفاعل الاجتماعي قادر على تأويل وفهم العالم المحيط به.

ومن المفيد التذكير بأن سوسيولوجية العلاقات والاعتماد المتبادل التي دفع إليها نوربرت إلياس خير معين في بحثنا هذا، والتي تركز على دراسة الظواهر الاجتماعية من خلال الارتباط فيما بينها، إذ أنّ الاجتماعي "لا ينمو ويتطوّر بحسب انفجارات فجائية تُغيّر الواقع الاجتماعي بسرعة، إنّما بحسب تحويرات صغيرة كامنة وغير مدركة" (ELIAS, 1975, P234) في حياة الناس.

وعلى الصعيد الموضوعي للدراسة، تم الاستعانة بمجموعة من الدراسات الميدانية التي تسير في نفس الاتجاه المخصص للدراسة، بداية نشير إلى مجموعة من الدراسات

وضعت في كتاب جماعي (HAUMONT & MOREL, 2005) حيث يناقش الباحثون في هذه الدراسات طبيعة التبادلات التي تحفز وتنعش العلاقات الاجتماعية بين الجيران (الهويات والممارسات والتمثيلات) بين الفضائيين العام والخاص. وعن علاقة الفضاء بالتفاعلات التي تحدث يوميا يقول كل من قورسي C. De Gourcy وبينسون D. Pinson: "إن المساحات الوسيطة تشكل المسرح الرئيسي للتعرف على الآخر، ألا وهو الجار" (HAUMONT & MOREL, 2005, P 173)، ركزت هذه الدراسات أيضا على تسليط الضوء على الاختلافات بين الثقافات في "العيش" في إطار العلاقات العامة، وأنه مستحيل تجنب الجار، فقد توصلت دراسة كل من C. Lévy-Vroelant و B. Dussart و J. P. Frey إلى رصد "89 % من السكان المبحوثين على علاقة جيدة مع جيران العمارة؛ منها 51 % من السكان أكدوا على أنهم منذ سكنتهم كونوا علاقات صداقة مع الجيران. 43 % قدموا خدمات للجيران في شهر سابق للدراسة. 41 % قاموا بزيارة الجيران في نفس فترة البحث" (HAUMONT & MOREL, 2005)

وطرحت دراسة كل من مزونيف ولامي (MAISONNEUVE & LAMY, 1993) ثلاث مواضيع كبرى في تحليل مفهوم الصداقة: الأول خاص بالحوار والتواصل، والثاني متعلق بالتعاون والتساند، أما الموضوع الثالث فيخص الوفاء والأمانة؛ بمعنى تضع هذه الدراسة معاني الصداقة في الرغبة في التواصل الدائم مع الصديق، الصراحة وسهولة التواصل معه، التشابه والتكامل بين الأصدقاء، كما أن هؤلاء يعتمدون على بعضهم البعض في حل المشاكل ويمكن الاتكال على بعضهم البعض، إذ تتعدى المساعدات بينهم من مادية خدماتية وحتى معنوية، وتعتبر الصداقة علاقة مقدسة تبنى على الثقة المتبادلة. وتوصلت دراسة بدار (BIDART C., 1997) في تحديد مفهوم الصداقة إلى طرح ثلاث فئات كبرى وهي: المساندة في المشاكل الكبيرة والاتكال على الصديق لحلها، والثقة، والصراحة.

ومن هذا المنطلق نطرح مجموعة من التساؤلات، أهمها:

• ماهي تمثيلات وعوامل تكوين الصداقة بين الجيران لدى الافراد العينة؟

• ماهي مراحل تكوين الصداقة بين الجيران لدى الافراد العينة؟

انطلقنا من الفرضية التالية:

تشكل الصداقة من خلال التفاعلات الاجتماعية المتمثلة في المواجهة والالتقاء والمواقف كمرحلة أولى، والاختيار وفق العامل الاقتصادي والثقافي كمرحلة ثانية، وتوطيد الصداقة كمرحلة ثالثة.

- أهمية وأهداف الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع، فالاهتمام بالصداقة كرابطة اجتماعية وتبلورها وتكوينها بين الجيران باعتبارهم يتقاسمون نفس المجال السكني موضوعا هاما للدراسة. ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى:

- الوصف الدقيق للظاهرة المدروسة والعناصر التي تحركها.
- الكشف عن مراحل وكيفية تكوين علاقات الصداقة بين الجيران داخل مجتمع حضري.
- محاولة منا لفتح باب واسع للبحث والنقاش المعمق، والحوار الجاد حول العلاقات الاجتماعية التي تجمع بين الأفراد المكونين لمجتمع محلي، ودراسة واقع وطبيعة العلاقات بينهم من الناحية السوسيوأنثروبولوجية.
- تشخيص واقع أنماط التفاعل في تناسقها وتعارضها وتفاعلها، وكذا عرض مختلف التأثيرات المترتبة عن ذلك.

- مفاهيم الدراسة

الرابط الاجتماعي: يعرف على أنه ذلك النوع من العلاقات التي تربط الفرد بالجماعة أو المجتمع ككل وتسمح له بالتنشئة الاجتماعية والاندماج في المجتمع، بحيث يستمد منها

العناصر المكونة للهوية، فضلا على أن الروابط الاجتماعية تسمح بالحفاظ على التناسق الاجتماعي من خلال تقاسم القيم المشتركة والضبط الاجتماعي أو هو مجموع التفاعلات التي تعمل على ربط الأفراد فيما بينه (YEVEs CUSST, 2007, PP5-23)

يسمح الرابط الاجتماعي بأن يكون الأفراد والجماعات وحدة اجتماعية يندمجون مع بعضهم البعض يتقاسمون نفس المعايير والقيم، فهو تنظيم وتنسيق للعلاقات الاجتماعية سواء كانت علاقات دينية أو أبوية أو علاقات سياسية، اقتصادية، ثقافية وغيرها. أو أنها ذات طابع دموي تقليدي أو حديث رسمي.

ونقصد بالرابط الاجتماعي في دراستنا مجموع الصلات التي تربط بين الأفراد، ومجموع الالتزامات التي يشعر من خلالها الأفراد بأنهم أعضاء ضمن جماعة واحدة، ينشأ من خلال التفاعل الاجتماعي وينطوي أساسا على الاتصال والتلاقي والتقابل الدائم بين الأفراد.

التفاعل الاجتماعي: تبدأ العلاقات الاجتماعية بفعل اجتماعي يصدر عن شخص معين يعقبه رد فعل يصدر من شخص آخر، ويطلق على هذا التأثير المتبادل بين الشخصين أو بين الفعل ورد الفعل اصطلاح التفاعل، فالتفاعل يعد محور العلاقات الاجتماعية يمكن الإنسان من التواصل مع الآخرين، ويعني الأخذ والعطاء أو تأثيرا متبادلا بين فردين أو أكثر. إنه علاقة مواجهة مباشرة بين شخصين أو أكثر بحيث يتعين عن كل فرد أن يضع الآخرين في اعتباره وتقديره عند قيامه بفعله.

إن التفاعل الاجتماعي هو عملية تشكل مستمر وليس استجابة لمعايير وقواعد يحكمها الفاعلون وتملي عليهم سلوكهم ومواقفهم، وهو لا يتم من خلال اللغة والخطاب فقط، بل يتعلق كذلك برمزية الحركات الجسدية المرافقة للكلام أو بدونه.

التفاعل الاجتماعي في دراستنا مرتبط بالتبادل الاجتماعي، نقيسه من خلال ما يحصل من تبادل بين الجيران في عدة مستويات منها: الحوار، التزاور، تبادل المساعدات والأطعمة والهدايا...

الجيرة: تعد الجيرة أصغر وحدة اجتماعية في المجتمع المحلي، فهي "وحدة اقليمية صغيرة تمثل عادة جزءا فرعيا من مجتمع محلي أكبر منها، ويسودها إحساس بالوحدة والكيان المحلي. وتتميز الاتصالات في جماعة الجوار بأنها مباشرة، وأولية، ووثيقة، ومستمرة نسبيا. هي جماعة أولية غير رسمية توجد داخل منطقة محددة" (عاطف، 2006، ص 275)، فبالرغم من أنها جماعة غير رسمية إلا أنها تقوم بعملية الضبط الاجتماعي، وتوجيه سلوك أفرادها. ويربط ريمون لدريت جماعة الجيرة بالتجاور السكاني ويعني به "إقامة السكان بعضهم قرب بعض، وهؤلاء السكان غالبا ما يتعايشون ويتزاورون ويتعاونون فيما بينهم" (LEDROUT.R., 1968, P106)، بمعنى تواجد الأفراد في مكان واحد يساهم في خلق وتقوية الروابط المباشرة بين أفراد جماعة الجيرة، فهي التآلف في العلاقات بين الأفراد الذين يسكنون بالقرب من بعضهم البعض" (RODERICK & MCKENZIE, 1998, P 235) ويمكن القول أن علاقات الجيرة هي الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في مجتمع محلي معين، والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن خلال تفاعلهم الدائم. إلا أن مجرد السكن داخل مكان واحد أو بجوار بعضنا البعض "غير كافي لإنشاء علاقات اجتماعية" (LEFEUVRE, 1993, P 43). فالتقارب المجالي لا يحقق دائما بوثقة تنصهر داخلها الجماعة كما أشار كل من شومبوردون ولومان من خلال دراستهما (CHAMBOREDON & - LEMAIRE, 1970, PP 3-33).

ونعتبر الجيرة في دراستنا جماعة أولية، تقوم على علاقات المواجهة الوثيقة والتعاون الواضح بين أعضائها، وتتميز بالتجانس وتتقاسم نفس الخصائص، كما لديها شعورا بالانتماء إلى المجال الواحد، وتشكل نوعا من الضبط الاجتماعي على أفرادها.

مفهوم الصداقة: تعتبر الصداقة علاقة اجتماعية حرة ومختارة، تخلق نوع من الحميمية بين أعضائها، وتمثل العلاقة أكثر تعقيدا، ولقد تأثرت كثيرا بالحضرية، وظهر ذلك على المستوى البنائي والوظيفي للعلاقات التي تربط الأفراد؛ إذ أن كبر المجتمع يعطي فرصة أكثر لاختيار الأصدقاء، فهي في المدن أكثر تنوعا واتساعا. وارتبط مفهوم الصداقة في الرغبة في

التواصل الدائم مع الصديق، الصراحة وسهولة التواصل معه، وأيضا التشابه والتكامل والاعتماد على بعضهم البعض في حل المشاكل (MAISONNEUVE & LAMY, 1993).
إنّ الصداقة علاقة مقدسة تبنى على الثقة المتبادلة. مرتبطة بالمساندة في المشاكل الكبيرة والالتكال على الصديق لحلها، مرتبطة أيضا بالثقة والصراحة (BIDART C., 1997)
وتتمثل خصائص الصداقة كالتالي: (قسّام، 2011-2013، ص 114-115)

- المادية: وهي مؤشرات ملموسة للصداقة قابلة للملاحظة والقياس، تتوضح في:
طابع الاتصال الخاص بالصداقة: امكانية الاتصال ووجود الوقت والجهد عمرها: المدة الزمنية لنشوئها واستمرارها وانتهائها
الحيز الطبيعي الحاضن للصداقة: فالمسافة الفاصلة بين الأصدقاء تختلف عن المسافة الشخصية والاجتماعية والعامة
مقدار التعارف بين الأصدقاء: مقدار الإفشاء والمعرفة الدقيقة ببعضهم
- الثبات النسبي والاستقرار: تعرف الصداقة بأنها دائمة لكن ثباتها نسبي، ويزداد مع تقدم العمر، ومن المتغيرات المؤثرة فيها: استمرارية الرغبة المتبادلة في الإبقاء على العلاقة - ثبات التبادل في الألفة النفسية - ثبات تبادل الالتزام - ثبات التبادل في الاعتماد - ثبات تبادل العزو الإيجاب
- الدينامية وقابلية التوجيه: حيث تتغير تبعاً للزمان والمكان والمجتمع، ولها ثلاث مستويات:

التغير وقابلية التوجيه الأفقي: حجم الأصدقاء

التغير وقابلية التوجيه الرأسي: عمق الصداقة

التغير وقابلية التوجيه البنائي: الخصائص الفردية والاجتماعية

- الكلية: وهي لا محدودة نطاق الصداقة على الصعيد الشخصي: إن الكلية تمكن من تحديد الصداقة اصطلاحاً؛ وتصلح وجهة النظر هنا اصطلاحاً اجتماعياً هورابطة الصداقة بدلا من جماعة الأصدقاء. حيث تحل مشكلة تعقد النظريات القائلة بطبيعة

الصداقة من حيث التشابه، والاختلاف، والتكامل بين الأصدقاء، فلو كانت محدودة لما برز هذا التنوع بأنماطها.

وفي دراستنا نعتبر الصداقة رابطة اجتماعية تنشأ بين فردين أو أكثر نتيجة حاجات ذاتية وموضوعية، تبدأ بالتعارف السطحي ثم تتطور وتعمق العلاقة بفعل عوامل متعددة: كالاعتماد المتبادل والبوح بالأسرار والمشاركة في حل المشكلات.

• الإجراءات المنهجية للدراسة

- المنهج وتقنيات البحث

إن كل دراسة تستوجب منهجا يتلاءم مع طبيعة الموضوع المدروس وصولا إلى الأهداف المسطرة، وتعتبر عملية انتقاء الأسس المنهجية لأي بحث عملية بالغة الأهمية، لأنها تمكن الباحث من معرفة وإدراك ما يسعى إليه. هذا التصور للبحث يستدعي منهجا خاصا وضرورة الاستعانة بتقنيات خاصة على ضوء المقاربة الكيفية التي تبينها في دراستنا هذه.

ولما كانت طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج المستخدم، فإنه وتبعاً لما تم التطرق إليه فإن المنهج المعتمد في الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي من أجل فهم حيثيات الموضوع وأبعاده.

وبناءً على المنهج المتبع في الدراسة، وفي ضوء متطلبات الدراسة من الناحية الميدانية وأهمية الحصول على البيانات اللازمة، والتي من شأنها أن تساهم في نجاح الدراسة، تم الاعتماد على تقنية المقابلة نصف الموجهة، التي تعتبر أداة اتصال، فهي تلك المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف معين، يقوم بها الباحث لاستثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها والاستفادة منها. وتعد هذه التقنية سيرة تفاعل بين الباحث والمبحوث، وتكمن خصوصيتها في الاستماع للمبحوث مباشرة وإعطاء مساحة أكبر للمبحوث للتحدث والكلام، كما تساهم في إنتاج معطيات خطابية تسمح لفهم التمثيلات والممارسات الخاصة.

استخدمنا تقنية المقابلة مع أفراد العينة لنقل تمثلاتهم وممارساتهم حول الموضوع المدروس، وأيضا تقنية الملاحظة المباشرة لمختلف أنماط السلوك والممارسات التي تتم من خلال الاتصال والالتقاء بين الجيران.

تم بناء المقابلة من خلال الدراسة الاستطلاعية والتحقيق الأولي، وقبل الانطلاق في البحث الميداني الفعلي قمنا بتجريب أسئلة دليل المقابلة على عينة من المبحوثين (خمسـة أفراد) وتم على إثره تعديل بعض الأسئلة وإدراج أسئلة أخرى تخدم الموضوع المدروس. حدثت المقابلات داخل الفضاء السكني للأسر المبحوثة بحضور جميع أفرادها، واختلفت في طريقة إجرائها من ساكن لآخر، فلم يكن هناك نموذج موحد لها، حيث لم نقيـد المبحوثين بأسئلة دليل المقابلة والإجابة عليها، بل تركنا لهم كل الحرية في الحديث عما يخصهم، مع التدخل من طرفنا بمرونة لإرجاعهم إلى الموضوع. وكانت أسئلة المقابلة تطرح باللغة العامية، ويتم تسجيل كل ما يدور من حوار مع المبحوثين، مع ملاحظة طريقتهم في الكلام واستعمال الألفاظ. ولم نغفل الأحداث الجانبية وكل ما قد يثير الانتباه؛ إذ أن معاينة حركات المبحوثين وتبـع تعابير وجوههم وإيماءاتهم من الأمور التي قد تساعد على اكتشاف بعض الحقائق والأمور الهامة.

وبالنسبة لوقت إجراء المقابلة فقد تم في فترات مختلفة، حسب ما حددته الأسر المبحوثة. وبعد انتهاء كل مقابلة ومغادرة مسكن الأسرة المبحوثة، نعيد ونسترجع كل ما مر بنا من حديث وحركات وملاحظات، ونعيد تسجيلها منظمة منقحة، مع القيام بتحليلها الأولي، والعمل على تنسيق وبناء المعرفة السوسيولوجية المستخرجة منها والتي تتراكم مع تقدم البحث والتحقيق.

ضم دليل المقابلة ثلاثة محاور أساسية؛ حيث خص المحور الأول بمعطيات عن أفراد الأسرة المبحوثة (جنس، سن، مستوى تعليمي، مهنة ومكان العمل لكل فرد من أفراد الأسرة، بالإضافة إلى الأصل الجغرافي والمستوى الاقتصادي للأسرة والاقدمية في الإقامة).

أما المحور الثاني ضم أسئلة عن طبيعة علاقات الجيرة (هل توجد صلة قرابة بينهم؟ كيف هي علاقتهم مع الجيران؟ أشكال التبادل الاجتماعي (مجالات الحوار والمحادثة بين الجيران، الزيارات وأسبابها، المساعدات وأنواعها، تبادل الأطعمة والأطباق والهدايا) المحور الثالث شمل أسئلة عن تمثيلات عينة الدراسة للصداقة وتكوينها مع جيرانهم والعوامل التي أدت إلى توطيد علاقات الجيرة وتحولها إلى صداقة.

- مجتمع وعينة الدراسة

شمل مجتمع البحث الأسر التي تسكن السكنات العمودية الجماعية بمدينة وهران (الجمهورية الجزائرية)، أما عينة الدراسة تم تركيب عينة متنوعة Varié، تمثلت في ثلاثين (30) أسرة مبحوثة، أسر نووية (بسيطة: تتكون من والدين وأطفال)، تم اختيارهم حسب وضعياتهم المختلفة واستعدادهم التعاون معنا وإمدادنا بكل المعلومات والحقائق. والجداول التالية تبين توزيع العينة حسب عدد أفرادها والمستوى الاقتصادي والمنطقة الجغرافية (الانتماء الجغرافي) ومدة الإقامة بالحي.

الجدول رقم 01: توزيع العينة حسب عدد أفرادها

عدد أفراد الأسرة	التكرارات	النسب المئوية
3	6	20%
4	7	23.33%
5	6	20%
6	8	26.67%
7	3	10%
المجموع	30	100

الجدول رقم 02: توزيع العينة حسب المستوى الاقتصادي

المستوى الاقتصادي	التكرار	النسبة المئوية
دون المتوسط	6	20%
متوسط	19	63.33%
مرتفع	5	16.67%
المجموع	30	100%

الجدول رقم 03: توزيع العينة حسب مدة الإقامة والمنطقة الجغرافية

المنطقة الجغرافية		ريفي		حضري		المجموع
التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	مدة الإقامة (السنة)
-	-	3	%10	3	%10	5-1
5	%16.67	7	%23.33	12	%40	10-6
2	%6.67	-	-	2	%6.67	15-11
3	%10	3	%10	6	%20	20-16
5	%16.67	2	%6.67	7	%23.34	أكثر من 20 سنة
15	%50	15	%50	30	%100	المجموع

3. نتائج الدراسة ومناقشتها

1.3 التبادل الاجتماعي بين الجيران:

يعد التبادل رابط اجتماعي أساسي، فلا يمكن فهم ممارسات الأفراد للجيرة إلا من خلال ما يحصل بينهم من تبادل. من شأن هذا التبادل أن يولد لدى الفرد "أفكار ومعتقدات وردود فعل شعورية وحاجات وطباع (...)" كل ذلك هو تعبير عن شبكة العلاقات التي ينبثق عنها الفرد ويندرج ضمنها" (ELIAS N., 1991, P 72). ويمكننا تحديد هذا التبادل من خلال الدراسة الميدانية في عدة مستويات نجملها في: الحوار، الزيارات والمساعدات، تبادل للهدايا، والأطعمة والأطباق.

- تبادل الحوار

يعد الحوار أداة تواصل فعالة تساهم في تكوين الروابط الاجتماعية، فالمحادثة وتبادل الحوار مجال للتبادلات الرمزية، تسمح لنا كممارسة لغوية بفهم كيف يشيد المتكلمون عمليات التواصل المهيمنة على التفاعل، فأية دراسة عن الحياة الاجتماعية يقول هابرماس Habermas: "لا يمكنها أن تستغني عن دراسة اللغة كعنصر أصلي مشكل للشخصية الإنسانية، وكعنصر يعيد إنتاج الحياة الاجتماعية" (MARTUCELLI D., 1999,

P324)

تعتبر اللغة من أهم الرموز التي يتم استخدامها في عملية التفاعل الاجتماعي اليومي، كما قد تستخدم الإشارات ولغة الجسد كذلك في التعاملات اليومية، فالفرد في تفاعله مع العالم يجد نفسه أمام جدار سميك من الدلالات الرمزية، وعليه أن يتوفر هذا الفاعل على أدوات مرجعية اجتماعية وثقافية تساعد في عملية التأويل التي يقوم بها في تفاعله مع الآخرين. فما يهمنا أيضا في هذا المقام إدراك المعاني الكامنة وراء هذا التبادل. إن تبادل الحوار ينطلق في البداية من تبادل للتحيات، وإن عينة الدراسة يتبادلون التحيات تارة بالكلمات والقبل، وتارة لا تتعدى فقط رفع الأيدي أو بحركات مثل هز الرأس، هذه التحيات أصبحت تخلو في عمومها من أي جانب وجداني، وأضحت تلقائية آلية تحدث من باب الحفاظ على الأمان أو الابتعاد عن العداوة، أو كما سماها قوفمان Goffman الحفاظ على ماء الوجه، فعيب وعار إذا مر الجار بجانب جاره دون إلقاء التحية. لكن وفي مقابل هذا نجد من خلال دراستنا الميدانية بعض السكان الذين يسكنون سواء في العمارة السكنية الواحدة، أو في الشارع الواحد لا يعرفون بعضهم البعض، وبالتالي لا يلقون التحية على جيرانهم، وخاصة ما يتعلق الأمر بالجيران الجدد؛ إذ أن مسألة تغيير المساكن باستمرار حسب ظروف معينة كتغيير العمل أو مكانه، أو راجع إلى توسيع المسكن وغيرها. من العوامل التي تجعل الجيران غير متابعين لهذه العملية فلا يعرف الجار جاره، فيمر بجانبه دون تبادل التحية. لكن هذا قليل في مجتمع بحثنا لكنه موجود لا يمكن التغافل عليه.

هذا فيما يخص الالتقاءات العابرة أما عن الالتقاءات المقصودة، والتي تكون على إثر دعوة لمناسبة معينة، تختلف التحية، فتأخذ نوع من الحميمية، حسب ما تم ملاحظته الميدانية في كثير من المناسبات، فتختلف طريقة القبل لتصل إلى العناق الحميمي.

ويعتبر كذلك الحديث المتبادل بين الأفراد مقياسا هاما يبين مدى قوة الروابط الاجتماعية فيما بينهم، فإن كان حديثا يسوده التفاهم والمناقشات الهادفة، دل ذلك على

قوة هذه الروابط، أما إذا كان مضمون الأحاديث خلاف دائم أو نقاش لا يسوده التفاهم العام دلّ ذلك على ضعف الروابط الاجتماعية. ومن خلال المعاينة الميدانية اتضح أن أفراد عينة الدراسة يتحاورون مع بعضهم البعض عن أمور تتعلق بالحياة اليومية للأفراد وفي مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وحتى المشاكل الخاصة بالحي إضافة إلى أمور أخرى كالدين على سبيل المثال.

وهذه الأمور يختلف النقاش فيها حسب أهمية الموضوع لدى الأفراد ومدى معاشتهم للأوضاع السائدة، كما تختلف باختلاف خصائصهم السوسيوثقافية، ولو أردنا ترتيب مجالات الحوار والمحادثة لدى العينة المدروسة: فإن الأمور الاجتماعية والتي لها علاقة بالحياة العائلية ومشاكل الأطفال وتمدرسهم، أمور الطبخ والتدابير المنزلية تحتل الصدارة في حوارات نساء عينة الدراسة، لأنها تدخل من الاهتمامات النسائية. وفي المرتبة الثانية حديث عن الحي وسكانه، والذي فيه نوع من تتبع الأخبار عن الجيران وتناقيلها، مشاكل الحي: كتحديث عن الإنارة أو تنظيف العمارة وغيرها. بعدها تأتي الأمور الاقتصادية كارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية وأمور سياسية التي تعد أقل أهمية في حوار الأفراد وغيرها من المواضيع.

تبرز هذه الحوارات بدرجات متفاوتة وفي أوضاع متباينة، وهذا راجع لوعي هؤلاء السكان وتطلعهم على التغيرات والمستجدات وإلى خصوصية كل منهم. وتتم هذه الحوارات في سلالمة العمارة أو عند الالتقاء صدفة خارج الفضاء السكني، أو عند التزاور كما لاحظناه من خلال تواجدها المستمر في الميدان.

- تبادل الزيارات

يعد عنصر التزاور من أهم العناصر التي تؤكد على استمرار التواصل والمودة بين الأفراد، وهو سلوكا اجتماعيا يحمل في مضمونه تأكيد استمرارية الروابط الاجتماعية، كما يعد من الواجبات الاجتماعية المنوطة بالجار والمستمدة من النص الفقهي الشرعي. وعليه

حاولنا من خلال هذا العنصر معرفة مغزى وأهمية هذه الزيارات وحجمها لدى أفراد العينة.

واتضح لنا من خلال المعاينة الميدانية أن هذه الزيارات أصبحت مرتبطة بالمناسبات فقط وهذا ما أكدته أغلب أفراد العينة، فقلة الزيارات اليومية وارتباطها بالمناسبات ترجع أساس إلى المحافظة على العلاقات الطيبة، وكذا على الاحترام المتبادل.

ويعود سبب عدم تبادل الزيارات بين الجيران إلى الحيطة والحذر والتخوف من الجار باستمرار، والسبب الكامن وراء ذلك - حسب رأي الفاعلين الاجتماعيين-راجع لاختلاف الثقافات والعادات والتقاليد لذا أرادوها علاقات سطحية غير عميقة للمحافظة على العلاقات الطيبة بين الجيران، فكما أشار هنريز Hannerz إلى أن "الإغلاق الجيد يصنع جيرة جيدة" (HANNERZ U., 1983, P326) ، بمعنى كلما قلت الزيارات وتبادلها كلما حافظ الجيران على الاحترام المتبادل. كما أن العمل وكثرة التزامات الأفراد لا تمكنهم من تبادل الزيارات مع جيرانهم.

وأصبحت الزيارات تأتي تلبية لواجب "المجاملة" في معظم الأحيان، ومن مناسبات التزاور مناسبات الأفراح وتقديم التهنئة بمناسبة نجاح مدرسي أو ازدياد مولود وغير ذلك، أو في مناسبات المآتم والأحزان، فيتم تقديم الإعانة والدعم المادي والمعنوي خاصة وتقديم العزاء في حالة ما توفي أحد أقارب الجيران وكذا المرض باعتبار زيارة المريض واجب ديني. ومن الأمثلة الميدانية ما جاء في تصريح إحدى المبحوثات (سيدة الأسرة، 46 سنة، مأكثة بالبيت): "ندخلوا غي في المناسبات. كاش مرض ولا حاجة ولا تحماد -تهنئة-... باش الدخول والخروج في كل وقت لا. البعد يجيب السلام والقرب يجيب الكلام"، وهذا تأكيداً على أن التزاور بين الجيران أصبح مرتبط بالمناسبات.

- تبادل المساعدات

تعتبر المساعدات التبادلية مؤشر آخر من المؤشرات الهامة لفهم أنماط العلاقات والروابط الاجتماعية التي تربط الأسر بجيرانهم داخل الوسط الحضري. ونقصد بتبادل

المساعدات التبادل المادي أو تبادل الخدمات بين الجيران، إذ أن التبادل يقتضي الانتفاع المعتمد في إشباع مختلف الحاجات، وهو ما يعبر عنه بالتساند الوظيفي.

يتمثل التبادل المادي في اقتراض أو إعارة بعض الأدوات المنزلية أو المواد الغذائية والمواد الاستهلاكية البسيطة كالمح، السكر، الثوم، وبعض الخضري في الحالات الاضطرارية لإعداد الوجبات الغذائية، ومن خلال المعاينة الميدانية اتضح أن القلة من أفراد العينة من يعيرون بعضهم البعض هذه المواد، تتم في الحالات الاضطرارية وبصفة محتشمة مع الجار القريب وخاصة المقابل للمسكن.

ويعبر تبادل الخدمات عن تقديم خدمة تكون بمثابة مساعدة إدارية أو صحية أو اجتماعية وغيرها، كمساعدة في استخراج الوثائق من البلدية أو التكفل بالتحاق طفل بالمدرسة، أو التوسط للحصول على العمل والتوظيف، أو تقديم خدمة معينة كالحصول على قفة رمضان. ومن الأمثلة الميدانية علة ذلك تقول بنت إحدى أسر العينة: (27 سنة، تقني سامي بالبلدية):

"يقصدوني بزاف باش نخرجهم الكواعط من البلدية ولا *extrait de naissance*, *fiche familiale* وخديجة أختي تقري ولادهم مين يقصدها. ما فيها والوا الجار للجار" بمعنى أن بنات هذه الأسرة وبحكم عملهن يقصدهم الجيران لتقديم خدمات متعلقة باستخراج وثائق من البلدية أو تقديم بعض دروس الدعم لأولادهم فلا يترددون لتقديم هذه المساعدات.

- تبادل الهدايا، الأطعمة والأطباق

تخضع الهدايا وتبادلها لمتغيرات عدة وتختلف هذه الهدايا على حسب طبيعة العلاقة بين معطي الهدية ومستقبلها إن كانت عميقة أو سطحية، أو حسب المناسبات التي تقدم فيها الهدية (زواج، ميلاد طفل، نجاح مدرسي وغيرها)، تجعل مانح الهدية في موقف الدائن أما من يتقبلها يصبح في موقف المدين، على هذا الأخير رد الهدية في إحدى المناسبات، وهذا ما يجعل من سيرورة التفاعل تتواصل وتستمر فكما أشار بورديو

(BOURDIEU P., 1980, PP191-207) أن مانح الهدية يضيف لنفسه شرف اجتماعي أو رأسمال رمزي يتكاثر ويتضاعف، بينما الرأسمال الرمزي للمدين أو من أخذ الهدية يتناقص، وهذا ما يبدو في العبارات التي تتروى على ألسنة المبحوثين في مناسبات الأعراس و"التحماد" خاصة، ألا وهي: "رديت ديني" "الرد الدين لي عليا".

وفيما يخص تبادل الأطعمة والأطباق تعرف هذه الممارسات تناقصا ملحوظا، راجع بالدرجة الأولى إلى عدم الثقة والشك المتواصل في الآخر (الجار) والخوف من السحر. هذا لا ينفي وجود بعض الأسر التي مازالت تحافظ على تبادل الأكلات والأطعمة بين الجيران. وعليه يتم التأكيد على أن التبادل سواء على مستوى الحوار، أو الزيارات أو المساعدات أو فيما يخص الهدايا، الأطعمة والأطباق قد تناقص بشكل عام عما كان عليه سابقا، وبالرغم من ذلك مازال نشهد بعضه بطريقة محتشمة.

2.3 التمثلات الاجتماعية للصداقة وسيرورة تكوينها

يرتبط مفهوم الصداقة لدى عينة الدراسة بمفهوم الثقة لدرجة كبيرة، والتي ترتبط بحفظ الأسرار خاصة تختفي معها كل الحدود؛ فيصرح ويبوح الصديق لصديقه كل ما يخطر بباله دونما حرج وخوف، نجد هذا المفهوم عند النساء خاصة، وتردد كثيرا في تصريحاتهن. حيث جاء على لسان إحدى السيدات (41 سنة، تاجرة):

"الصحبة هي الثقة، مين تقدري تحكيها كلشي وماتخافيش تخرجلك سر، الصحبة مين تريحيلها وماتخافيش منها، تحكيها على حياتك وحتى على دارك *c'est la franchise*".
الصديق إذن هو الذي يحفظ أسرار صديقه، ويشعره بالراحة والطمأنينة النفسية، يمكن التعامل معه بكل صراحة دون إخفاء أمور أو حقائق، تقتضي تفهم الصديق لصديقه؛ كما يعني الصداقة مشاركة الصديق أفراحه وأحزانه وكذا مشاكله.

وإنّ الأصدقاء هم الذين يمكن الاتكال عليهم عند التعرض للمشاكل العويصة، تضمن الدعم المادي لهم، يقول سيد أسرة (50 سنة، موظف):

"صاحبي لي نلقاه وقت الشدة، غير هاك ما عندي ماندير بيه، نقدر نتكل عليه في كلشي، لا سحقيته نلقاه، ماشي كيما رانا نشوفوا، حبيبي بساح مين نقصده يبدأ يتهرب، ماشي هاك، ماشي هذه هي الصحبة، الصحبة حاجة كبيرة غي لي يفهمها"، فعند الرجال خاصة يرتبط مفهوم الصداقة بالدعم المادي خاصة، والمشاركة في المواقف الصعبة، والوقوف معا جنبا لجنب. وتؤخذ الصداقة صفة القداسة لدى أفراد العينة، وتعتبر رابطة اجتماعية مقدسة تخضع لشروط ومعايير، إذا انتفت تختفي معها هذه الرابطة، التي ترتبط بعامل الوقت خاصة.

إنّ الجيرة تبدأ من أضيق الحدود من شقة إلى أخرى تجاورها في نفس العمارة أو في نفس الطريق، ثم تتوسع فتتصل بباقي المساكن من داخل المجال السكني، ثم تخرج منه إلى مساكن أخرى داخل الحي. وعليه تمر علاقات الصداقة وتكونها لدى أفراد العينة بمراحل ثلاث، وهي:

- المرحلة الأولى

إنّ علاقات الجيرة لا تأخذ دائما نفس الشكل، تبدأ في المرحلة الأولى سطحية تأخذ شكل طقوس يومية (تحايا، زيارات مناسباتية ...) التي تحافظ على العلاقات الجيدة مع الجيران، هي علاقات الوجه لوجه وعلاقات تنشئ من خلال التفاعل مع بعض الجيران في الطريق أو على سلالم العمارة، إضافة إلى تبادل التحايا في الصباح والمساء وذلك من باب الاحترام واللياقة والأدب، أو تتم عملية التلاقي بين الجيران في السوق، الحافلات، الطرق وغيرها. أو يكون الاتصال جراء المنازعات التي قد تنشأ بين الجيران بسبب رمي الماء من النوافذ أو الأوساخ، شجار بين الأطفال وغيرها من الأمور التي تدفع إلى الاتصال بين الجيران، ومن ثم يتم التفاعل بغض النظر عن محتواه ونتائجه، وهذا هو تفاعل عشوائي، يقوم على عملية التلاقي وجها لوجه. ومن الأمثلة الميدانية على ذلك تقول سيدة أسرة (54 سنة، مأكثة بالبيت):

"ماعنديش الحباب في الحومة. مخالطة غي هذه لي حدايا كي تكون حاجة روحوا عند بعض"، بمعنى أن هذه الأسرة تربطها علاقة جيدة مع جارتها القريبة إليها مجاليا، يتزاورون ويتبادلون مختلف الحاجيات.

ومن التفاعل العشوائي أيضا التلاقي على أساس العامل الجغرافي، إذ يبحث الساكن الجديد عمن هو من منطقته الأصلية، دون مراعاة العامل الاجتماعي أو الاقتصادي أو المستوى التعليمي لهذه الأسر، مما يتسبب في ظهور نوع من الاختلاف نتيجة تباين انتماءاتهم الطبقية، ولا تلبث هذه العلاقات أن تتطور بتدخل عنصر العقل في بنائها لتبدأ المرحلة الثانية، وهي مرحلة انتقاء الجيران واختيارهم على أساس المصلحة المتبادلة والإمكانات المادية والتجانس الاجتماعي.

إذن يتحكم في هذه المرحلة التقارب المكاني الذي يهيأ فرص التفاعل والاتصال بين الأفراد ويسمح بتكرار المشاهدة والالتقاء، كما يتحكم فيها الاشتراك في الأصل الجغرافي، لكن علاقات التي يتم تكوينها في هذه المرحلة يمكن أن تقوى أو تفتروا أو تنعدم، بناء على ما يتوفر من محددات أخرى في الموقف تلعب دورا أساسيا في تمتين الرابطة.

- المرحلة الثانية

تبدأ في المرحلة الثانية عملية اختيار واقتناء الجيران على أسس ومعايير معينة كتمائل الاتجاهات والمواقف، تقارب في الخصائص السوسيوثقافية والمجالية والمصلحية خاصة، وغيرها من العوامل التي تساهم في تكوين الروابط الحميمة، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

العوامل الثقافية: تساهم العوامل الثقافية في تشكيل جماعات الجيرة، ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى قسمين: قسم يتعلق بالأصل الجغرافي وهي المكتسبات التي تدرج عليها فئة من الناس في منطقة ما، فتتميز بها كاللهجة الواحدة والعادات والقيم والمعتقدات المشتركة. فالانتماء إلى ثقافة واحدة يسهل عملية التلاقي وتكوين علاقة الجيرة.

وقسم آخر يتعلق بالمستوى الثقافي –التعليمي-؛ إذ يلعب هذا العامل دورا مهما في تكوين علاقة جيرة متينة لأن التقارب في المستوى الثقافي يقرب وجهات النظر ويوحد طريقة التفكير ورؤية الأشياء، مما يسهل عملية التواصل ويقويها، فإن انتفى هذا أصبحت العلاقة باردة وسطحية.

ومن الأمثلة الميدانية التي تؤكد ذلك تصريح سيدة الأسرة (48 سنة، ماثلة بالبيت) التي تجمعها علاقة مع جارتها تتشارك معها في الأصل الجغرافي وتسكن معها في نفس العمارة:

"نخرجوا مع بعض مين يربح واحد، نخرجوا نباركوله، ولا حاجة تاع فرح ولا فرح نخرجوا كيفكيف (...). السوق رحو مع بعض، نتلاقوا عند الباب تقدرى تقولي مانخرجش بلا بها وهي ثاني" وتضيف ابنت هذه السيدة (28 سنة، مهندسة دولة): "حنا العزبات -غير التزوجات- تدينا ماما للبحر، والخثرة للفاتت روحنا حمامنا في بوحجر مع بعض، ثاني مين روحنا للتلمسان حوسنا كنا مع بعض. متفاهمين" فالجيرة تتقاسم أيضا أوقات الفراغ.

العامل الاجتماعي والاقتصادي: يتضح لدى عناصر عينة الدراسة وجود درجة عالية من التفاعل والاتصال بين الأسر الميسورين اجتماعيا واقتصاديا، ومثلها بين الأسر محدودي الدخل والذين يعيشون نفس ظروف العمل، ويتعرضون لنفس المشكلات الحياتية. هذا الطرح يحيلنا إلى التأكيد على أن تقارب مستويات الدخل والمستوى المعيشي يشجع الاتصال والتقارب بين الجيران. وعليه فالعلاقة بين الأسر من نفس الفئة الاجتماعية تكون أكثر ترابطا إذا ما قورنت بين الأسر التي لا تنتمي إلى فئة اجتماعية واحدة.

ظروف أخرى: إن جماعة الجيرة لا تتشكل انطلاقا من العوامل سالف الذكر فحسب، بل هناك ظروف تدفع الأفراد إلى البحث عن إقامة علاقات حميمية مع الجيران، ومن هذه الظروف نذكر:

• البعد عن الأهل

إنّ الخروج من المنطقة الأصلية، والابتعاد عن الأهل والأقارب بسبب ظروف العمل وصعوبة الاتصال بهم لبعد المسافات والتكاليف الباهظة، وفقدان من يباح لهم بالأسرار، ومن يستشارون في الأمور... تولد لدى الساكن الشعور بالاغتراب والوحدة والخوف، وللتخلص من ذلك يلجأ هذا الساكن إلى البحث عن علاقة بديلة، ومعطي هذه العلاقة هم الجيران.

• طول مدة الإقامة

يلعب عامل الوقت والأقدمية بالمسكن وبالحى السكاني دور هام في خلق الروابط الاجتماعية. فالجيرة تنقسم الفترة (المدة) أكثر ما تنقسم المجال (أو المكان) (DOVIER APRILL & GERVAIS LAMBONY , 2007, P66) ، فمعرفة الجيران خاصة قبل التحاقهم بالحى السكاني قد تعزز الروابط الاجتماعية.

إن ما يؤسس لهذه المرحلة أساسا التقارب الثقافي، الاجتماعي والاقتصادي وكذا الألفة، التشابه الوجداني، بمعنى التقارب على مستوى الطباع والميولات والرغبات الشخصية، الود المتبادل، الشعور بالتكامل. لكن كل هذا لا يعني بالضرورة أن تكون صداقة فعلية (البوح بالأسرار وغيرها) لتبدأ مرحلة ثالثة.

- المرحلة الثالثة (الصداقة الفعلية)

تتكون علاقات الصداقة بين مجموعة من الجيران ليكونوا جماعة اجتماعية تكون وثيقة بفعل الأصل الاجتماعي الموحد بتمثيلات وممارسات موحدة ولهجات وثقافة محلية مشتركة (القبائل، السكان المحليين...). أو أنها تكون لتشابه التفكير والميول والاتجاهات والمصالح الفردية. ففي حالة إحدى الأسر وصديقتها التي تسكن معها في نفس العمارة، اجتمع كل من عامل الأصل الجغرافي، والوقت وكذا معرفة أرباب الأسرتين في تمتين الرابطة الاجتماعية والتي تحولت إلى صداقة فعلية؛ حيث تقول ربة الأسرة (50 سنة،

ماكثة بالبيت): "جيت عروسة وسكنت هنا كنت نخاف من مداصرة، لقيت وحدة من دشرتنا راجلها يعرف راجلي بدات تدخل علينا وهي لي عرفتني على الجوارين، ودروك هي حبييتي تاع الصبح تمتنت علاقتي معاها. أصلا ولادي يقولولها ماما خيرة... روحوفي رحبة للسوق ونخرجوا مع بعض ندوا الدراري (... ثاني يدوا معاها بدرالدين ولدي مع ولادهم للبحر ولا لل *manège*"، في هذه الحالة اعتبر العامل الجغرافي وانتماء الأسرتين إلى نفس الوسط الريفي عاملا مهما وساعد معرفة أرباب الأسر السابقة على خلق الرابطة الاجتماعية، كما شجع على تماسكها واستمرارها عامل الوقت، لما يمنحه في معرفة الآخر على حقيقته، من خلال التجارب الحياتية التي تمر بها الأسرتين، وامتدت علاقة هاتين الأسرتين إلى المشاركة في كل الأمور وحتى أوقات الفراغ.

وتظهر علاقات الصداقة أيضا بين الأفراد الذين يتشابهون في المستوى السوسيومي (المعلمون يشكلون جماعة، عمال المجمع الصناعي يشكلون جماعة، عمال البلدية وهكذا)، أي بين الأفراد الذين يعملون في مهن متشابهة أو مهنة واحدة؛ حيث يقول سيد أسرة (41 سنة، موظف):

"صحابي غي *mes collègues* تاع الخدمة يسكنوا معايا". إذن يعزز كل من التقارب المجالي والتقارب المهني علاقات الصداقة وتكونها، وهنا ذكر كوانغ: "العلاقات لا تتأسس عن الجيرة بل يتم اختيارها على أساس المرافقة في العمل" (COING H., 1966, P172)، أي تكوين علاقات صداقة مع الجيران الذين هم زملاء في العمل.

وإن وجود قواسم مشتركة بين الأفراد يجعلهم يكونون علاقات حميمية التي تتحول إلى صداقة، أو من خلال التجربة بمرور بمرحلة صعبة (وضعيات صعبة) تواجد هذا الجار وكان المعين، أو اختباره إن كان كاتم للأسرار فيمكن الاتكال عليه واعتباره صديق والأكثر قربا. فتنوب فيها أسرة عن أسرة أخرى في حالة غيابها، تقوم على حراسة مسكنها، وقد تصل إلى ترك مفتاح المسكن لصديقها، وغيرها من الممارسات الحميمية.

ففي مرحلة الصداقة هذه تكون عملية التبادل بارزة بوضوح، التبادل الشعور الحميمي المعنوي أكثر منه مادي يتشاركون في كل الأمور حتى في التحضير لمناسبات اجتماعية خاصة كالزواج والميلاد على سبيل المثال، الدعم المعنوي والنفسي في حالة المشاكل والخلافات الأسرية أو في العلاقات مع الزوج وهنا تبرز مسألة الثقة بوضوح، فهي عامل هام في تكوين هذه الصداقات، تعد بمثابة المادة الأولية لذلك.

إلا أن هناك الكثير من أفراد العينة يرفضون إقامة علاقات صداقة داخل المجال السكني خوفا وخشية الوقوع في المشاكل، من أجل الحفاظ على العلاقات الطيبة مع الجيران دون الدخول في علاقات حميمية عميقة. وهناك من المبحوثين ممن أكدوا أنهم يفضلون أصدقائهم في الحي القديم، أصدقاء الطفولة وذلك لشعورهم بالراحة والاطمئنان معهم. كما يؤكد التصریح الموالي لسيدة (60 سنة، متقاعدة): "أحبائي *les collègues de travail et des amis d'enfance* قرينا مع بعض، كبرنا مع بعض، نخرجوا مع بعض ندخلوا مع بعض"

فما لمسناه في الميدان تحبذ تكوين علاقات صداقة من خارج المجاورة، مع محاولة وضع مسافة بين الجيران للحفاظ على الاحترام وعدم التعدي على حرمة الجار وخصوصياته. إذن الساكن ينتمي إلى عالمين عالم الأصدقاء وعامل آخر جيرانه الذي يعتبر نفسه غريبا عنهم بالرغم من أنهم أقرب إليه فيزيقيا لكنهم اجتماعيا بعيدين عنه، ومن هنا تأكيد على استبدال علاقات الجيرة بعلاقات صداقة من خارج الحي. وهناك من يرفض تماما الصداقة باعتبار أن الصداقة الحقيقية لم تعد موجودة بين الناس، أو ربما نادرة، نتيجة لاختلال المنظومة القيمية الاجتماعية، بفعل طغيان التأثيرات المادية المتراكمة على العلاقات الاجتماعية.

3.3 مناطق التفاعل الاجتماعي

يركز قوفمان E. Goffman في اقترابه ودراسته للمجتمع على الأفعال والنشاطات المتبادلة للأفراد، بحيث صب اهتمامه على التفاعلات الاجتماعية وعملية الإخراج

(التمسرح) للنظام الاجتماعي (GOFFMAN E., 1973) تكون فيه القواعد والطقوس والممارسات مضبوطة ومقننة (GOFFMAN E., 1974) ، وأن التفاعلات وجها لوجه تشكل شبكة الاجتماعي، والتي يتم ضبطها عن طريق طقوس التفاعل (قواعد اللياقة، كيفية التحدث والكلام....) والتي تسمح للأفراد بتقديم صورة حسنة، وعليه يشبه الحياة الاجتماعية بالمرسح يلعب فيه الأفراد أدوارا على خشبته حتى لا يفقدون ما أسماه بماء وجههم، فالمجاملة الاجتماعية ضرورية في التفاعل الاجتماعي بين الأفراد. ويسعى كل فاعل في كل لقاء على تقديم صورة قيّمة عن نفسه حتى يحض بقبول الآخرين، مع الحرص على عدم الكشف عن حقيقته لهم، فهي أحد الرهانات الرئيسية للتفاعل الاجتماعي.

ويقول قوفمان في هذا المجال إنه "يدخل الأفراد في علاقات متبادلة ومضبوطة، وإلى استعمال وتوظيف نماذج تكيف والقواعد الجارية والسارية، والتي تحمل في طياتها بعض الانحرافات الخفية وحتى التجاوزات العلنية والواضحة" (GOFFMAN E., 1973, P12) ، وفي هذا الإطار يطرح هذا المفكر شكلين من الاتصال الأول صريح واضح علني، والثاني مخفي غير مباشر، يسعى من خلاله الفرد على تمثيل نفسه لغيره من الناس على الصورة التي يريد هؤلاء أن يروه عليها.

وعلى هذا الأساس يقسم قوفمان الروابط الاجتماعية إلى منطقتين أساسيتين، الأولى المنطقة الأمامية أو الواجهة (خشبة المسرح)، أين يتفاعل فيها الفاعلون مع الجمهور وعليه احترام أدوارهم الاجتماعية، والثانية هي المنطقة الخلفية (الكواليس) تعتبر مغلوقة على الجمهور، ولا يسمح لهم بدخولها، وهنا الفاعل يمكنه الاسترخاء أو التحضير لعرض جديد، هذه المنطقة تحمل بعض الأسرار والخصوصية. والشئ نفسه ينطبق على الأفراد في تفاعلهم، فهناك صورة إيجابية يحرص الفرد على تقديمها والظهور بها، وهناك صورة غير مضيئة يحاول الفرد إخفاءها.

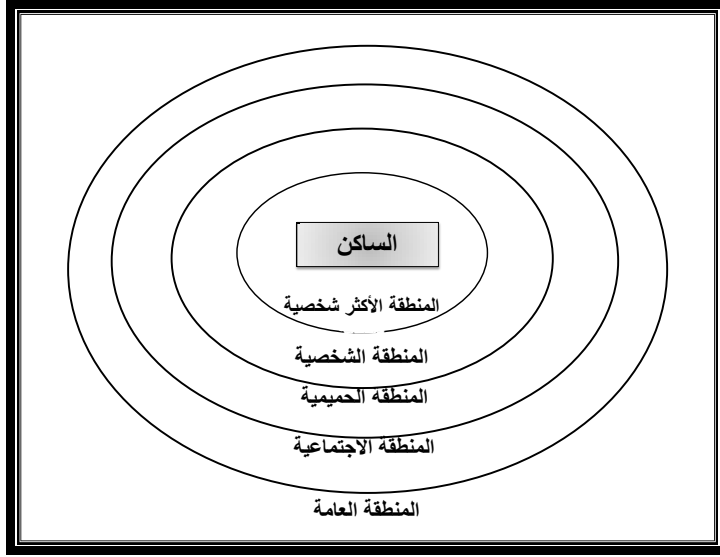
انطلاقا من هذا الطرح ومن خلال الدراسة الميدانية عن مراحل تكون علاقات الصداقة بين الجيران وجدنا أن الأفراد يحرصون في المرحلة الأولى والثانية (المذكورة

سلفا) على خلق مسافة اجتماعية، أو كما يسميها قوفمان مسافة شخصية التي تعني المكان المباشر الذي يحيط بكل شخص ويعتقد أنه خاص به ويجب ألا ينتهك بواسطة الآخرين، وإذا اقتحمت هذه الحدود يشعر الفرد بعدم الارتياح لأن خصوصيته كشفت، تشير بعض الدراسات عن المسافة أن "هناك قواعد تحكم علاقات تعرف بقواعد التجاور وهي قواعد ثقافية تحدد المسافة الفيزيائية المناسبة في إقامة العلاقات بين الأفراد، وتبين أن المسافة الفيزيائية ليست في حد ذاتها عاملا حاسما ولكن القواعد التي تحكمها حسب طبيعة العلاقة هي الأهم" (سليمان، 2007، ص 49)، بمعنى وضع حاجز يحفظ خصوصية وحرمة الأفراد، ومن أجل المحافظة على المسافة الشخصية تقل عمليات التزاور وتبادلها بين الجيران، باعتبار الفضاء السكني هو فضاء شخصي، فقلة تبادل الزيارات داخل الفضاء السكني وارتباط الزيارات بالمناسبات معناه الحفاظ على المنطقة الشخصية للأفراد، وهنا يؤكد مبحثنا على أن سر المحافظة على علاقات الجيرة تكمن في عدم الإفصاح عن الأسرار.

أما في المرحلة الثالثة (الصداقة الفعلية) يسمح للأصدقاء المقربين تخطي المسافة الشخصية، التي تتميز بالبوح بالأسرار والمشاغل الشخصية، فيتقاسمون نفس الظروف المعيشية، يسمح بتبادل المعلومات الشخصية بين الطرفين.

عموما ومن خلال ما سبق فإن الساكن ينتمي إلى خمس مناطق أساسية (أنظر الشكل التالي)، الأولى أكثر شخصية تحمي خصوصية الفرد لا يسمح لأحد تخطيها، تتضمن أسرار أكثر سرية لا بد وأن تبقى مجهولة خوفا من ظهور العيوب الشخصية للآخرين، والثانية شخصية يمكن للأصدقاء دخولها؛ إذ يتقاسمون نفس الأفكار، وكذا الأسرار الخاصة بحياتهم العائلية، أما الثالثة تعد منطقة حميمية تتمثل في العلاقات الاجتماعية التي يكونها الساكن مع من يتقاربون معه في الخصائص والمعايير التي يضعها، تتميز ببعض الحميمية بالمقارنة مع المنطقة الرابعة، إذ يتشاركون في الحياة المشتركة. وتعد المنطقة الرابعة اجتماعية لأن الأفراد لا يمكنهم أن يعيشوا منعزلين عن محيطهم الاجتماعي فلا بد

لهم من إقامة هذه العلاقات بالرغم من سطحيتهما. أما المنطقة الخامسة فهي عامة تتمثل في كل الروابط الاجتماعية التي يكوّنها الساكن، من خلال علاقاته العابرة غير الدائمة غير المستمرة، الغريب في هذه المرحلة يتم الإفصاح على بعض خصوصية الفرد والتكلم عن حياته الخاصة لأن هؤلاء الذين يلتقيهم لا يعرفونه، لذا يمكنه أن يتكلم بطلاقة وبدون أي خوف.



الشكل 1: المناطق التفاعلية للساكن

المصدر: الدراسة الميدانية

إنّ وصول فرد ما إلى المنطقة الشخصية مرهون بالمدة، ما يؤكد على مسألة التدرج في العلاقة التي تبدأ سطحية، حميمية فشخصية.

4.3 الجيران وتصنيفهم لدى الساكنين:

يمكن تصنيف الجيران حسب ما أسفرت عنه الدراسة الميدانية إلى ثلاث، وهذا يتفق مع التصنيف الذي قدمه R. Ledrut (1968) (LEDROUT) وهي:

- جيران لا يحبذون تكوين علاقات مع الجيران، لا يتبادلون معهم لا الزيارات ولا المساعدات، يتبادلون التحايا فقط أثناء الإلتقاءات العابرة، يشكل هؤلاء نسبة قليلة.

- جيران يتبادلون كل أشكال التبادل لكن لا تربطهم علاقات حميمية عميقة مع جيرانهم، يشكلون النسبة الأكبر، ويرتبط ارتباطا وثيقا بما ينصه الدين الاسلامي، ويمليه المعتقد الشعبي.

- جيران تربطهم علاقات الصداقة يتبادلون في كل الأمور وحتى الخاصة منها، تشكل نسبة قليلة هي الأخرى.

كما يمكن تصنيف الجيران من جهة أخرى إلى ثلاث أصناف أخرى:

الأول يضم الجيران المقصون أو غير مرغوب فيهم، منهم الذين كان بينهم صراع وصل حده الأقصى، مثال شجار حصل بين إحدى الأسرة المبحوثة وجارة لها تسكن أسفلها، حيث قام رب الأسرة الأخيرة على إثر شجار بين الأسرتين باستدعاء الشرطة، ما أدى إلى قطيعة فعلية بين كل منهما، وبالرغم من أنّ هذا الحدث تجاوز مدة العامين، إلا أن هذه القطيعة وعدم رغبة كل منهما بالآخر ما زال مستمرا. والثاني يتمثل في الجيران المقبولين، والذين يتفاعلون باستمرار كما يعملون على تبادل الزيارات والمساعدات وكذا الأطعمة والمأكولات، أما الصنف الثالث يتضمن الجيران المفضلين، والتي تصل علاقتهم إلى حد الصداقة، فيتقاسمون كل الأمور الحياتية.

4. خاتمة

إنّ الروابط الاجتماعية بين الجيران تشتمل على علاقات عفوية، وأخرى تتميز بوجود علاقات منظمة بين الأفراد، فهي علاقات حاجة ومصلحة ومنفعة. فيعيش الأفراد مزيج من الروابط الاجتماعية المتنوعة والمتداخلة، ويعتبر الحفاظ على العلاقات الطيبة بين الجيران أمر ضروري؛ حيث يشكل التقارب المكاني نوع من الالتزام المتبادل بين الجيران. وتنطلق علاقات الصداقة بين الجيران أساسا من التجانس والتشابه في الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وفي القيم والاتجاهات والميول وغيرها، بالإضافة إلى الاعتماد المتبادل أساسه المصلحة المشتركة.

كما توصلنا إلى وجود نموذجين علائقيين، الأول يعيد إنتاج النموذج العلائقي الموروث من التنشئة الاجتماعية المستمدة من الدين الإسلامي أساسا والأمثال الشعبية، يتشبع بها الفرد وتربى عليها يحافظ على العلاقات الأولية مع الجيران ويقوم بتوطيدها. أما النموذج الثاني يتم من خلاله إنتاج نموذج علائقي جديد يحاول الفرد من خلاله الاستقلال عن الجيران، فهو يتواصل معهم فقط عند الالتقاء بالصدفة أو في مناسبات خاصة من أجل الحفاظ على ما أسماه قوفمان E. Goffman بماء الوجه.

وبالرغم من العلاقات السطحية التي تجمع بين الجيران المبنية على النفعية والمصلحة المشتركة نلمس نوع من التضامن بين أعضاء المجتمع المحلي، إذا ما ادعت الضرورة لذلك وإن احتاجوا إلى بعضهم البعض، فبالرغم من وجود فجوة وهوة بين وضعيات التفاعل إلا أننا نلمس الحفاظ على التضامن والروابط الطيبة بين الجيران.

قائمة المراجع

1. بومدين سليمان. (جويلية- سبتمبر، 2007). تصورات المغاربة لحرمة داره. إنسانيات(37).
2. صفوان سلمان قسّام. (2011-2013). ارتياح الطلبة لمواقع الانترنت الاجتماعية وعلاقته باتجاههم نحو الصداقة (دراسة ميدانية لطلبة جامعة دمشق). أطروحة ماجستير الدراسات العليا في علم الاجتماع. جامعة دمشق.
3. عبد الرحمن المالكي. (2005). سوسيولوجيا التحضر في المغرب (دراسة في العلاقة بين الأطر الايكولوجية والأنساق الثقافية بفاس). أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، الجزء الأول. جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربية.
4. غيث محمد عاطف. (2006). قاموس علم الاجتماع. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
5. BIDART C. (1997). *L'amitié : un lien social*. Paris: La découverte.
6. BOURDIEU P. (1980). *Le sens pratique*. Paris: Ed. de Minuit.
7. CHAMBOREDON, .., & - LEMAIRE . (1970). Proximité spatiale et distance sociale. Les grands ensembles et leur peuplement . *revue française de sociologie*(N° XI-I), pp. 3-33.
8. COING H. (1966). *Rénovation urbaine et changement social*. Paris: Les éditions ouvrières .
9. DOVIER APPRILL , É. & GERVAIS LAMBONY , P. (2007). *Vies citadines*. Paris: Belin.

10. ELIAS N. (1991). *La société des individus*. (J. Éoré, Trad.) Paris: Fayard.
11. ELIAS, N. (1975). *La dynamique de l'occident*. Ed Calmann- Levy.
12. GOFFMAN E. (1973). *La mise en scène de la vie quotidienne*. Paris: Les éditions de minuit .
13. GOFFMAN E. (1974). *Les rites d'interaction*. Paris: Les éditions de minuit.
14. HANNERZ U., H. (1983). *Explorer la ville*. Paris: Ed. de minuit.
15. HAUMONT, B., & MOREL, A. (2005). *La société des voisins (Partage un habitat collectif)*. Paris: Edition de la Maison des Sciences de l'homme.
16. LEDRUT , R. (1968). *L'espace social de la ville*. Paris: Ed Anthropos.
17. LEDRUT.R. (1968). *sociologie urbaine*. Paris: Puf.
18. LEFEUVRE, M. (1993). Grands ensembles et relations sociales : Proximité, Distances, Positions. Dans *Doctorat du 3ème cycle*. Institut français d'Urbanisme, Université Paris VIII.
19. MAISONNEUVE , J., & LAMY , L. (1993). *Psycho- sociologie de l'amitié*. Paris: Puf.
20. MARTUCCELLI D. (1999). *sociologies de la modernité*. Paris: Folio essais Gallimard.
21. RODERICK, & MCKENZIE. (1998). Le voisinage : Une étude de la vie locale à Colombus, Ohio. Dans Y. GRAFMEYER, & I. JOSEPH, *L'Ecole de Chicago (Naissance de l'écologie urbaine)*(p. 235). Paris: Aubier.
22. YEVEZ CUSST, P. (2007). *Le Lien Social, , , 2007, PP. 5- 23*. Paris: Armand Colin.